مثل نبوءة لا زمن لها

وهبت التجريدية حياتنا معنى الذهاب الى الأبدية

فاروق يوسف *

1

■ لم يقاوم اتجاه فني الزمن ومزاج ذائقته الجمالية المتحولة بقدر ما فعل الاتجاه التجريدي، حيث لا تزال إنجازات فنانيه تحتل موقع الصدارة في المشهد التشكيلي العالمي، بالرغم من أن بدايته الرسمية تعود الى العقد الثاني من القرن العشرين. لقد ذهبت مدارس واتجاهات فنية حديثة كثيرة الى المتاحف، حيث كفت عن الحراك لتكون مجرد ذكرى لفتوحات عظيمة، التكعيبية والسوريالية هما الابرز في هذا المجال. هناك اتجاهات كانت بمثابة تجسيد للحظة عصف تاريخي، حقق وجودها شروط ذلك العصف لتختفي من غير أن يختفي أثرها، فالدادائية حصرا حين تأكد فنانوها أن نداء الخراب الذي أطلقوه قد غرس بذور الشك في روح الذائقة الفنية انسحبوا وهم يشعرون براحة الضمير. فن الـ(بوب) الذي بدأ في بريطانيا ليجد في امريكا أرضا خصبة لتجلياته السوقية ظل بالرغم من تدفق الاموال عليه والتلميع الاعلامي المضلل الذي رافقه عاجزا عن اختراع بلاغة جديدة للجمال، فايقونات وارهول على سبيل المثال (ماو، مارلين، الفيس) لم تكن إلا اعلانات ملحقة بأحداث راهنة، ولم تكن أسئلتها محيرة ولن تكون كذلك يوما ما. هناك اتجاهات أخرى يمكنني أن أذكر منها: فن الجسد، فن الأرض، فن الحدث، وسواها من الاتجاهات التي عبأت الهواء ضجيجا من غير أن تترك لفتة عبقرية واحدة. حتى الان لا يزال الفن المفاهيمي الذي بدأ مع جوزيف كوست في منتصف ستينات القرن الماضي يقاوم، لكن من خلال اندماجه برؤى الفن الجديد، وهو فن لم يفصح حتى الآن الا عن الرغبة في احداث الخلخلة الضرورية، كما فعلت الدادائية يوما ما، غير أن الفرق يكمن في سعة المساحة التي تحرك عليها الاتجاهان: لقد حصد الفن الجديد نتائج فشل انساني أكبر من ذلك الفشل الذي توقف عنده الدادائية. كان زمن الدادئية سعيدا قياسا بتعاسات زمننا. ومنذ خمسينات القرن الماضي سعت الواقعية إلى أن تستعيد موقعا ما في المشهد الفني من خلال محاولات لا تنقصها الثقة، أهمها الواقعية الفوتوغرافية (رسوم الامريكي رالف غونغز) والواقعية الميتافيزيقية (رسوم السويدي كلاس اولدن بري)، غير أن هذه المحاولات (بالرغم من المهارات التقنية التي تقف وراءها) لم تثمر عن شيء يذكر، فهي لم تستوعب الدرس الذي جعل الواقع يفر من واقعيته الثابتة إلى الأبد. وقبل الواقعية كانت التعبيرية قد استسلمت لتجريد وهبها فرصة حياة مضافة، لكن من خلال اختفائها نهائيا، حيث ولد اتجاه التجريدية ـ التعبيرية.

2

لقد ظهرت التجريدية مثل نبوءة لا تمت الى ذاتها بصلة. واقعة لا زمن لها، حيث كانت الموسيقى هي الجدار الذي استند اليه مبتكروها الاوائل وهم ينظرون إلى العالم. وهي لا تزال حتى هذه اللحظة تستغيث بالموسيقى في مقاومة أي معنى ضال يسعى الى افتراس نتائجها. هوس التجريدية بالموسيقى كان بمثابة مفترق طرق فصل بينها وبين الاتجاهات الفنية الأخرى. صحيح أن هناك تجارب فنية مهمة سعت الى المزواجة بينها وبين التشخصية كما فعل الامريكي روبرت راوشنبرغ بجدارة، غير أن تلك التجارب فشلت في تخطي حساسية موضوعها المباشر، وهو موضوع يمتحن وجوده الواقعي بأدوات غير واقعية. حلمية التجريد لم تكن تعليقا على رؤى مجلوبة من الواقع، في حين كانت الطبيعة بمثابة خزانة لاحلام التجريديين. وهنا ينبغي التذكير بان (الطبيعة) ليست مفهوما واقعيا ولا صورة عن الواقع. لقد كان هناك دائما تجريديون كبار في عصر غير مستقر، تماهت لوحاتهم مع مفهوم الموسيقى المرئية. وهو المفهوم الذي تجسد الزخرفة العربية واحدة من أعظم صوره الخالدة (نرى تأثيرها واضحا في اعمال موندريان وفازرلي). ما عثر عليه التجريديون في الموسيقى من صفاء مطلق انقذهم من عملية البحث عن ذريعة للرسم. لقد صار لديهم سبب للرسم، يعيدهم اليه في كل الحالات: الموسيقى التي في الهواء كما هي في كل لفتة من لفتات الطبيعة. كان سر التجريدية ولا يزال يكمن في الموسيقى. وهو السر الذي جعل الشكل يصل الى ارقى حالات صفائه لدى فيكتور باسمور وروبرت ماذروول وريشارد سيرا وتومبلي ومارك توبي وزاووكي وادواردو تشليدا وتابيث على سبيل المثال. وكما ارى فان مناهضة التجريدية للمعنى، المباشر وغير المباشر على حد سواء، قد نأى بها عن كل تأويل يضعها في سلة الممكنات. ظل التجريد عصيا على كل محاولة لاحتوائه رمزيا وتمثله ذهنيا. معها صار المتلقي يشعر دائما بالحاجة الى جسد العمل الفني ليعيد اكتشافه ويتذوقه بصريا. بالنسبة للتجريديين لم يكن المعنى ليشكل جسرا يصل بين الرسم وبين غاياته الجمالية، هناك جسور أخرى هي أكثر مهارة في اكتشاف الدروب التي تصل الى تلك الغايات.

3

هناك اليوم تحت الأضواء بازاليتز وكيفر، وهما ليسا تجريديين. كليمنته وميمو بلادينو، وهما أصغر سنا ليسا تجريديين أيضا. قبلهم كان بيكون وأبل ودوبوفيه. أسماء كثيرة أخرى لا يمكن انكار أهمية حامليها على مستوى الانجاز الفني الحديث، ولم يكن أحد منهم تجريديا. غير أن كل واحد منهم لا يمثل اتجاها فنيا بعينه مثلما يفعل فنان مثل الامريكي كارل اندريا (1935ـ)، التجريدي بامتياز. مع أندريا يمكننا القول ان التجريد لا يزال يمتلك من الفضاءات ما لم يتم اختراقها بعد. لا يزال في امكان التجريد أن يقترح علينا سبلا تنفذ من خلالها ذائقتنا الجمالية الى مناطق سحر جديد. مثالية أندريا تدفع به دائما إلى اختيار الأقل ليكون حجته في الانحياز الى صفاء المادة التي يستعملها. تبدو أعمال أندريا (وهي لا تعلق على الجدران دائما) كما لو أنها محاولات لحذف وقائع نفسية كثيرة، غير أنها في المقابل تنقل المتلقي إلى مناف جمالية غير متوقعة، حين تهبه مزاج الكائنات غير المدجنة بكل أناقة واطمئنان مرحها. في حدائق (تويلري) بباريس رأيت عملا كبيرا لأندريا معروضا على أرض خضراء. كان انتماء ذلك العمل إلى المكان نوعا من التعبير عن التوق إلى السمو، حتى المشاهد العادي لن يكون في امكانه أمام ذلك العمل الافلات من لحظة تأمل تدخله الى عوالم لامرئية شاسعة. مع اندريا وسواه من رسامي عصرنا التجريديين اتخذ التجريد هيأة الفعل اليومي المحرض على عدم الاستسلام لواقعية تنكرها حاجة الحواس إلى لذة جمالية نقية من كل ضجيج. ربما شكل زهد اندريا بالالوان نوعا من الصدمة للباحثين عن متعة بصرية عاجلة، وقد تحرمهم تلك الصدمة من الانصات إلى الموسيقى التي تنبعث من الشقوق التي يحدثها تجاور صفائح النحاس، بعضها بالبعض الآخر. هؤلاء المنعمون بذكرى الحياة المنفعلة بلذائذها المباشرة قد يجدون في رسوم الاسباني جواكان كابا (1953ـ) التجريدية ضالتهم التي تعبر عن حاجتهم للذهاب بعيدا عن العالم، لكن إلى جواره. لا يخفي كابا رغبته في الحذف، غير أنه حذف لا يظهر ميلا للتقشف. كابا يبقي الطرق مفتوحة بين عالمين: ما نراه مباشرة على اللوحة وهي أشكال تداعب مباشرة حساسيتنا البصرية وما لا نراه حيث يطيح التأمل بكل فرصة مباشرة للتفسير. هناك الكثير من (كابا)، في المقابل هناك كارل اندريا واحد. غير أن الوصول إلى أندريا يمكن أن يكون عسيرا لو لم يوجد كابا وسواه من الرسامين الذين جعلوا من التجريد حلا واقعيا.

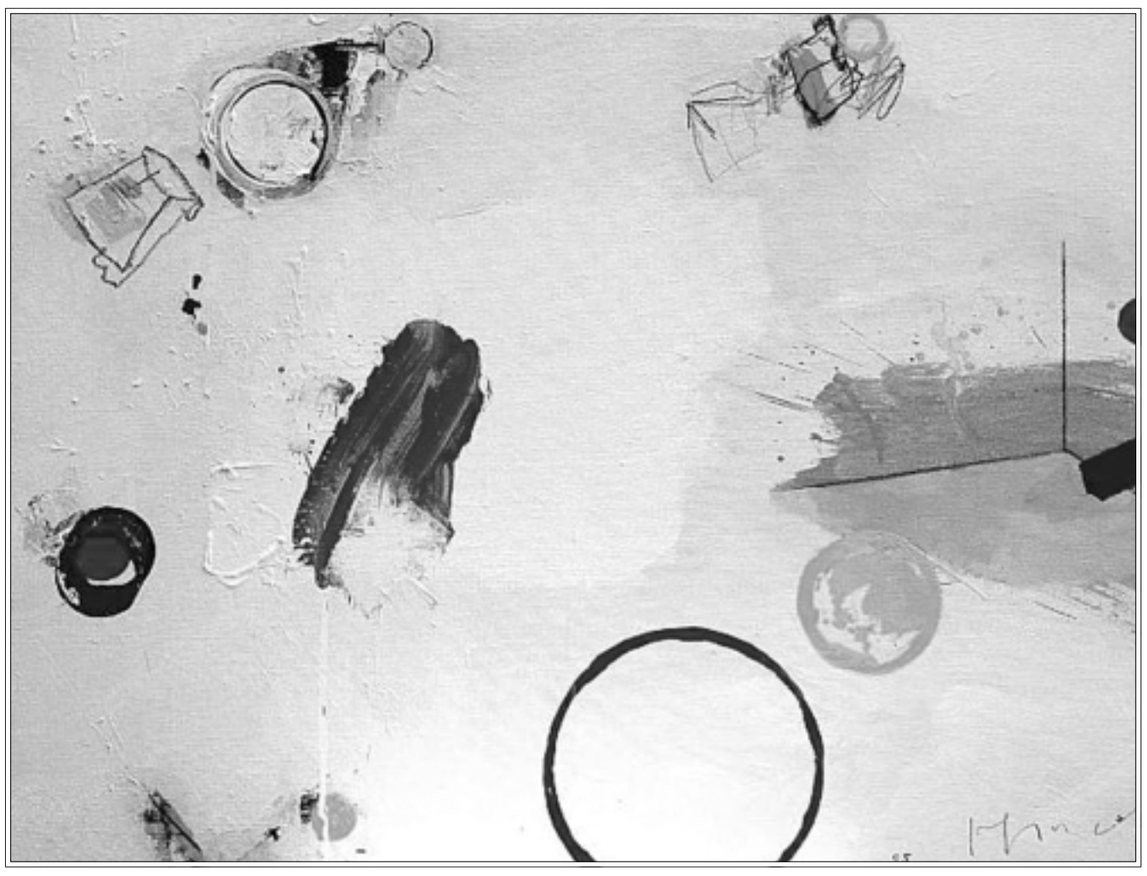

من اعمال جواكان كابا

من اعمال غاري كومارين

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

بلاغ الى المثقفين العرب

شعراء تونسيون يحتجون على منح جائزة «الشابي» لديوان شعر لم يطبع!

■ جاءنا في عدد من الشعراء التونسيين بياناً حول منح جائزة ابو القاسم الشابي للشعر لديوان شعري لم يطبع هنا، هنا نص البيان:

فوجئنا منذ أيام قليلة بخبر اسناد «جائزة أبو القاسم الشابي للشعر» التي تشرف عليها مؤسسة البنك التونسي ، للسيدة جميلة الماجري عن مجموعتها الشعرية: «ذاكرة الطير»، المفاجأة ناتجة عن سبب بسيط وهام في الآن نفسه، وهو عدم طباعة وصدور هذه المجموعة المتوجة في الفترة الفاصلة

بين يومي 15 ايار (مايو) 2004 و15 حزيران (يونيو) 2006 وهو شرط أساسي للمشاركة في هذه المسابقة ورد في بلاغ البنك التونسي الخاص بالاعلان عن الترشح لنيل الجائزة.

وقد تبين لنا أن السيدة جميلة الماجري أوهمت لجنة الايداع القانوني باصدار مجموعة ذاكرة الطير وذلك بموافاتها بخمس نسخ مطبوعة بواسطة النسخ الرقمي الشبيه بالطباعة الأصلية، قصد الايهام بالنشر والحصول على الايداع القانوني في 15 حزيران (يونيو) 2006، وهو آخر أجل لقبول المشاركات في المسابقة، علما أن هذه الطبعة المزعومة والوهمية مسجلة في ذاكرة المكتبة الوطنية تحت عدد:

A-8-163930و A-8-163929 وورد في وصفها المادي كونها طبعة أولى، وأن عدد صفحاتها 151 صفحة، ونحن نؤكد لكم ، بوصفنا ناشطين في المشهد الثقافي ومطلعين عن كثب على كل شاردة وواردة فيه، أن هذه المجموعة لم تطبع ولم تنشر كما ينص على ذلك أحد بنود المسابقة والأدلة القاطعة عديدة (نلتمس منكم الاطلاع على الصور والأدلة الدامغة المصاحبة لهذه الرسالة).

اضافة الى ما تقدم، نسجل استغرابنا من عدم صدور خبر واحد عن مجموعة «ذاكرة الطير» في الصحافة التونسية والعربية طيلة أربعة أشهر كاملة، اذ لم ترها عين، ولم تتصفحها يد ولم تسمع عنها أذن خبرا يتيما في وسائل الاعلام الاذاعية، والحال أنها مجموعة « سيدة الشعر التونسي»، كما يحلو للبعض تسميتها وليس باكورة شاعرة ناشئة ومغمورة.

الاخوة المثقفين العرب

نسجل استغرابنا الشديد لغياب هذه المجموعة المزعومة عن الأمسية التكريمية التي حظيت بها السيدة جميلة الماجري، من قبل مهرجان قرطاج الدولي، وذلك يوم 19 تموز (يوليو) 2006 في قصر النجمة الزهراء..... لله في خلقه شؤون ، ومما زاد الطين بلة، قيام الشاعرة بتوزيع مجموعتها الجديدة على بعض المشاركين في سهرة الشعر التونسي ليلة 13 تشرين الاول (أكتوبر) 2006، بدار الثقافة ابن خلدون، المجموعة لا تحمل ايداعا قانونيا أما عدد صفاحاتها فهو 160 صفحة، اضافة الى الفروقات العديدة بينها وبين النسخة المسجلة في المكتبة الوطنية (وجدنا أنفسنا مجبرين على القيام بهذا التحقيق جراء المفاجأة وقصد التثبت من حصول ذاكرة الطير على الايداع القانوني) وقد تبين لنا أن النسخة الأولى مطبوعة رقميا، وبعدد محدود جدا من النسخ، والمقصود بهذه الفعلة الايهام بالنشر والتحيل على لجنة الايداع القانوني، واللجنة المشرفة على الجائزة.... ربما.

أما النسخة المتوفرة الآن في المكتبات، ولدى بعض الصحفيين والشعراء، والصادرة في مطلع شهر تشرين الاول (أكتوبر) 2006 والموسومة بكونها طبعة أولى أيضا ، هي غير قانونية ولا ايداع قانوني لها ونتعجب من جرأة السيدة جميلة الماجري على الاستخفاف بالقانون وتوزيع كتاب غير مرخص له، ومتوج في جائزة ينص أحد بنودها على (أن يكون العمل المرشح منشورا للمرة الأولى في طبعته الأولى الصادرة بين يوم 15 ايار (مايو) 2004 و15 حزيران/يونيو 2006).كما لا نخفي ذهولنا ودهشتنا من استخفاف هذه السيدة بالمشاركين العرب والتونسيين وقيامها بالسطو على جائزة أدبية تعد من مفاخرنا القليلة في هذا الزمن السريالي.

بناء على ما تقدم:

ـ نعتبر أن ما حدث ينال من مصداقية هذه الجائزة التي تحظى بسمعة طيبة لدى المثقفين في تونس وخارجها، واننا اذ نشكر البنك التونسي على رعايته للابداع والمبدعين، نؤكد أن أهداف الجائزة النبيلة لا يمكن أن تتحقق في ظل مثل هذه الألاعيب والتصرفات المشينة.

ـ نطعن في مشاركة السيدة جميلة الماجري بمجموعتها الشعرية «ذاكرة الطير» في مسابقة البنك التونسي

(جائزة أبو القاسم الشابي للشعر) ونعتبر هذه المشاركة غير قانونية.

ـ نطالب باعتبار نتائج المسابقة لاغية ونقترح اعادة تشكيل لجنة أخرى.

ـ نطالب باجراء تحقيق في ملابسات هذا الخرق الجلي لقانون المسابقة.

ـ نؤكد أن التغاضي عن هذه التجاوزات يعد استهتارا بالمشاركين واحتقارا للشعراء التونسيين والعرب.

ـ نؤكد أننا لن نشارك في هذه المسابقة ما لم تحدد مسؤولية من قام بهذا الخرق القانوني وما لم تضمن الشفافية التامة في تقويم المجموعات المقدمة.

ـ نؤكد على ضرورة تحديد مسؤولية كل طرف وردع كل من سولت له نفسه الاستخفاف بالقانون وقيم المجتمع المدني والس من سمعة المثقف التونسي والعربي ومصداقية الجائزة التي تعد من مكاسبنا الحضارية.

والسلام

مجموعة من الشعراء والأدباء التونسيين

محمد الهادي الجزيري فتحي النصري نجاة العدواني حافظ محفوظ شمس الدين العوني حياة الرايس ظافرناجي سمير العبدلي

جوناثان ليتل يفوز بجائزة غونكور وآلان مابانكو بجائزة رونودوه

■ باريس ـ اف ب: فاز الكاتب الاميركي جوناثان ليتل يوم امس الاثنين بجائزة غونكور عن روايته «لي بيانفيانت» (المتسامحات) فيما منحت جائزة رونودوه للكاتب الفرنسي الكونغولي آلان مابانكو عن روايته «ميمور دو بورك ـ ابيك» (مذكرات شيهم)، كما اعلنت لجنتا اسناد الجائزتين في مطعم دروان في باريس.

وفاز ليتل بجائزة غونكور ارفع الجوائز الادبية الفرنسية في دورة التصويت الاولى بحصوله على سبعة اصوات في مقابل ثلاثة متفوقا على ميشال شنايدر عن روايته «ماريلين ديرنيير سيانس» (ماريلين، الجلسات الاخيرة) الصادرة عن دار غراسيه وستيفان اوديغي عن رواية «فيس اونيك» (الولد الوحيد) عن دار غاليمار وايلي فيزل الذي لم يكن من بين المتنافسين.

من جهة اخرى فاز آلان مابانكو بجائزة رونودوه بفارق بسيط في دورة التصويت العاشرة بنيله ستة اصوات في مقابل خمسة ليشال شنايدر من بينها صوت رئيس لجنة اسناد الجائزة الذي يعتبر بمثابة صوتين.

ورواية «المتسامحات» هي الاولى التي يكتبها جوناثان ليتل مباشرة باللغة الفرنسية وهي تقع في اكثر من 900 صفحة يتناول فيها الروائي موضوع الجلاد والمسؤولية الشخصية.

ويروي ماكس اوي وهو مثقف مرهف اصبح خبيرا في الفظائع، في هذا الكتاب بصيغة المتكلم ومن دون اي ندم، الفظائع التي ارتكبها على الجبهة الشرقية.

وغاب ليتل البالغ من العمر 39 عاما عن حفل تسليم الجائزة وهو موقف يعتبر استثنائيا غير انه منسجم مع تصريحات الكاتب الذي اعلن عدم اهتمامه بالجوائز الادبية.

غير انه حرص على الاعراب عن سروره من خلال ناشره انطوان غاليمار الذي قال ان الفائز «يقول في كلمة مقتضبة املاها على للتو انه يفضل البقاء على حياد وهو مسرور للغاية مثلما سر بجائزة الاكاديمية الفرنسية الكبرى».

واوضح ان ليتل «ليست بحاجة الى الدعاية» لانه «يعتبر ان الادب لا ينتمي الى اوساط الاستعراض وان المهم هو الكتاب».

والكاتب الاميركي جوناثان ليتل المولود في نيويورك سنة 1967، هو نجل الصحافي والكاتب الاميركي روبرت ليتل المتخصص في روايات الجاسوسية وقد جاب على مدى 15 عاما مناطق تشهد نزاعات لحساب منظمات انسانية قبل ان يكرس وقته لكتابة روايته.

وشكلت «المتسامحات» حدث الموسم الادبي هذه السنة وقد اثارت مقاربة ليتل الذي جعل من ضابط نازي شخصية روائية محورية انتقادات ولا سيما من جانب المخرج اليهودي كلود لانزمان.

وكانت الرواية مرشحة للجوائز الادبية الست الكبرى لهذا الموسم في فرنسا وقد فازت في 26 تشرين الاول/اكتوبر بجائزة الاكاديمية الفرنسية للرواية.

اما رواية «مذكرات شيهم» فتروي يوميات هذا الحيوان اللبون القارض ويمزج اسلوبها ما بين اسلوب الحكايات على لسان الحيوانات والقصص الافريقية.

ولد الفرنكوفوني آلان مابانكو عام 1966 في الكونغو حيث يعمل والده في فندق وقد اختار الاقامة في الولايات المتحدة حيث يعلم الادب الفرنكوفوني منذ 2002.

وبعدما درس القانون في فرنسا عمل بصفة خبير قانوني في شركة ليون للمياه ونشر مجموعات شعرية قبل ان تصدر له رواية «بلو بلان روج» (ازرق ابيض احمر) عام 1998 ثم رواية «افريكان سايكو» (مجرم افريقي) التي كانت اول عمل له لقي نجاحا ويروي فيها قصة قاتل

سَمني ...

رجاء ناطور*

في اليوم السابع
استويت عن كتفي
ومشيت بيني حافيا
تركت لك ما تساقط
مآتم الشمع
الزمن الذي متهُ
والشعَرَ وحيدا
بالثلج
لتكون فاجعتي برأسكَ في مئزري
كبيرة
وأركض حين ينَهرُني الحقل الخالي
الى جرح بحجم غيبوبة

سَمني التي ترَى حفاها
ويعريها الماء

أنثى في كتفي
الورم
حَدبتي السعيدة
الرجل الذي حمل الوردة
لم يركب معنا القارب
ودجلة كان ضفيرة بيننا
وأعضاؤنا في أعضائنا
سَمني التي مرت بين رصاصتين
وارتعدت الشهوة في كَعبها

هيىء أدوات السكُرِ
ولعبة أرى
وانظرُ بكفي المثقوبة
دمعة متدحرجة
متشبثة بشعر خرَب
منديل أنيق يمتصني
برحمة ساخرة
الحب ؟
شَخير ذلك الشارع
وفمُ الشهوة الجاهل
سَمني عمياء الجسر
عقلَ الحافة
والحلمَ يُسافرُ بعينينِ داميتين

مر شتاء
على الريح دون قرف
على
الكأس التي لم تنكسر
على ما قرأتهُ الأم
في شرارات الهبوطِ
على
ما تقرؤهُ المتحجرة
الملفوفةُ بخرقِ الانتظار
على
صاحبكِ ذي الأريكة الميت
عليكَ وحيدا في مطر الشام
سوى عجوز
تبعكَ سر ... يكبو
ما أتعسكَ!
قتلتني
هربتَ من حرب الحرب الكبيرة
ومتَّ في حرب صغيرة
سَمني مقص الذاكرة مدبب الركبتين

مدينتان في نهار هولندا
امرأتانِ
احداهما الممنوعة
رجال يحملون أعضاءهم المبتورة
للشمس
يدورونَ في العلب المعدنية
أيها الرب !
صدركَ حقول مفتوحة
ويداكَ غابات
نُمو الليل علينا بطيء !
والفراش وجبة باردة
نخب الرجال ... والمدينة
تضاجع أول الموت وصوتها ينفتح
تتنفس من مزق الدخان
وتدلف ..
أمكَ السومرية قالت
الخنجرُ الذي يطعنُ ثلاثا
ينقلب على ظهره
سَمني التي انكمشَ رحمها
كوكبا مظلما أسود وأزرق.. ودمعة

أشهدُ أني شالكَ أطلقتهُ للريح
وتلعثم
أخذتَ عن لساني لوتس
همْسِ الأسرِة
أعطيتني جذر النار ...
حلمتُ
أني أمزقكَ دون أن أخونكَ
حلمتُ
أني دمية حلَمتايَ
بفم تعبي
يتنازع علىَّ
رجلان زنجيان
يتحاوران بصفير أفاعٍ
وحلمتُ
أني أبارك ثمرة بطنكَ
سأحلمُ
أني أطفيءُ القبر
برداء أحمر

القدس ـ اكتوبر 2006

* شاعر من فلسطين